بلاغة الحذف في القرآن الكريم

محمد علي غناوي
باسم كنعان صالح الكرخي

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

اما بعد :

فتعد الدراسات القرآنية من الدراسات المهمة التي أفرزتها الحاجات العصرية والضرورات المعاصرة ولجمالية بلاغة القرآن الكريم ارتأيت ان اكتب بوجه من وجوه الاعجاز القرآني ، الا وهو بلاغة الحذف في القرآن الكريم ، وقد قسمت بحثي هذا الى اربعة مباحث تكلمت في المبحث الأول عن بلاغة الحذف ، والثاني عن حذف الحرف ، والمبحث الثالث حذف الاسم ، اما المبحث الربع فقد تكلمت فيه عن حذف الفعل ثم الخاتمة بأهم النتائج ، وهذا جهد المغل فان اصبت فهذا من فضل الله ، وان كنت قد أخطأت فذلك مني ومن الشيطان وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد....

فان البحث في كتاب الله تعالى مطلب عظيم قال عليه الصلاة والسلام: (كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبّار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، هو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لاتزيغ به الأهواء ، ولاتلتبس به الألسنة ، ولايشبع منه العلماء ، ولايخلق بكثرة الرد ، ولاتنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي إلى الرشد فآمنا به ، من قال به صدق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)(١)

ونحن في هذه الصفحات نحاول التوقف عند فن بلاغي من فنون القرآن الكريم الآ وهو الحذف مبينين أثره في البلاغة القرآنية فكانت هذه الدراسة المتضمنة أربعة مباحث ، الأول : بلاغة الحذف ، والثاني : حذف الحرف ، والثالث : حذف الاسم ، أما الرابع فكان في حذف الفعل.

المبحث الأول
بلاغة الحذف

يعد اسلوب الحذف من الاساليب القرآنية الجميلة التي أدت دورا بارزا في رسم الصور القرآنية ، يقول عنه عبد القاهر : (هو باب دقيق المسلك ،لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر فانك ترى به ترك الذكر افصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ،وتجدك انطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناًً إذا لم تبن ،وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر ، وتدفعها حتى تنظر)(٢).

إن الأصل في الكلمات هو ذكرها ، أما الحذف فهو خلاف الأصل ، ومن هذا فلابد لهذا الحذف من حكمة أو بلاغة.

ان للحذف فوائد كثيرة منها التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام لذهاب الذهن في كل مذهب وتشوفه إلى ما هو المراد فيرجع قاصرا عن إدراكه فعند ذلك يعظم شأنه ويعلو في النفس مكانه ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد وخلص للمذكور .

ومنها زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأحسن.

ومنها زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك بخلاف غير المحذوف كما تقول في العلة المستنبطة والمنصوصة .

ومنها طلب الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل.

ومنها التشجيع على الكلام ومن ثم سماه ابن جنى شجاعة العربية(٣) .

يقول ابن الزملكاني :ألآ ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يعترضك من الوهم وخلص للمذكور جزما وكذلك فإن الابهام ولو على احتمال مرجوح يلقي في النفس تشوقا الى ما هو المراد ويعظم لتكثير الموارد الوهمية ويعلقه الوهم معرضا عن المذكور بما لم يذكر تعليقا وهميا من غير أن يخلصه لمعين ذهني أو خارجي فيرجع الذهن متقاصرا عن إدراكه عاجزا عن مرام صيده بشباكه وآيسا عن اعتلاقه بأشراكه ، فعند ذلك يعظم شأنه ويعلو في النفس مكانه(٤) .

والحذف قد يقع في الاسم أو الفعل أو الحرف ، وقد يذكر في مكان ويحذف في آخر مشابه له من حيث السياق ، وفي القرآن الكريم لا تذكر كلمة إلا إذا اقتضاها السياق ، وتطلبها النظم ، ولا تحذف كلمة إلا وحذفها ابلغ وانسب ، واكثر ترابطاً في الأسلوب ،واحكم للصياغة الفنية المعجزة ،لأن نظم القرآن ارفع أنماط الكلام ومن ثم فلا حشو ،ولا تطويل يفسد به المعنى ويترتب عليه الملل ، ولا اختصار تستغلق به الأفكار ويعسر معه الفهم ، بل لكل مقام مقال ،ولكل موقف نمط عجيب من النظم ، بحيث تتداعى الألفاظ تداعيا طبيعيا حسبما تتطلبه المعاني ، وتقتضيه الأفكار . وتتحدر في سهولة ويسر ،حتى تتماسك في مواضعها التي هيئت لها ، فللذكر مجاله في الصياغة القرآنية ،وللحذف مجاله هو الآخر(٥) .

المبحث الثاني

حذف الحرف

فمن صور الحذف حذف الحرف ، ومن ذلك قوله تعالى في بيان حال اهل الجنة واهل النار يوم القيامة في سورة الزمر :{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ...}(٦) . وقال :{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا...}(٧) .

فان قيل :قال في أهل النار "فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا " بغير الواو ، وقال في اهل الجنة " وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا " بالواو فما الفرق بينهما ؟.

والجواب على ذلك "ان ابواب جهنم لاتفتح الا عند دخول اهلها فيها ، فهي سجن لاصحابها ، والسجون مغلقة الابواب لاتفتح الا لداخل فيها او خارج منها ، كما قال تعالى :{انها عليهم مؤصدة}(٨) ، واما ابواب الجنة ففتحها يكون متقدما على وصولهم اليها ،بدليل قوله تعالى :{جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ}(٩)، فلذلك جيء بالواو كأنه قيل :حتى اذا جاءوها وقد فتحت ابوابها(١٠) .

وفي هذا ماحكي انه اجتمع ابو علي الفارسي مع ابي عبد الله الحسين بن خالويه في مجلس سيف الدولة ،فسئل ابن خالويه عن قوله تعالى :{حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}في النار بغير واو ، وفي الجنة بالواو ؟

فقال ابن خالويه :هذه الواو تسمى واو الثمانية ؛ لان العرب لاتعطف الثمانية الا بالواو .فنظر سيف الدولة الى ابي علي ،وقال :احق هذا ؟ فقال ابو علي : لااقول كما قال ؛ إنما تركت الواو في النار ،لأنها مغلقة ،وكان مجيئهم شرطاً في فتحها ،فقوله "فتحت" فيه معنى الشرط

،واما قوله "وفتحت" في الجنة ،فهذه واو الحال ،كأنه قد قال :جاءوها وهي مفتحة الابواب ؛وهذه حالها(١١).

وقد علق الزركشي بعد ان عرض هذه الحكاية في البرهان بقوله :(وهذا الذي قاله ابو علي هو الصواب ويشهد له امران :-

احدهما : ان العادة مطردة شاهدة في اهانة المعذبين بالسجون ، من اغلاقها حتى يردوا عليها ،واكرام المنعمين باعداد فتح الابواب لهم مبادرة واهتماماً.

والثاني : النظير في قوله :{جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ }(١٢) .(١٣).

اما الحكمة من كون الجنان مفتوحة الابواب والنيران مغلقة فيمكن اجمالها بما ياتي:-

١- ان يستعجل اهل الجنة الفرح والسرور اذا رأوا الابواب مفتحة ، واهل النار يأتون ، وابوابها مغلقة ليكون اشد لحرها .

٢-ان الوقوف على الباب المغلق نوع ذل وهوان ، فصين عنه اهل الجنة لا اهل النار .

٣- ان الكريم يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة ،فلو وجد اهل الجنة بابها مغلقاً لأثر انتظار فتحه في كمال التكريم بخلاف اهل النار(١٤) .

فسبحان الله الذي عبر عن كل هذا بذكر حرف وحذفه ،فهل بعد هذا من إعجاز، بقي ان نذكر ان الاصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها ان يكون في الكلام مايدل على المحذوف ،فان لم يكن هناك دليل على المحذوف فانه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ، ولا سبب(١٥) .

ومثاله أيضا ذكر "ما" في قوله تعالى :{حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(١٦). وحذفها في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ}(١٧). وقوله في وصف اهل النار :{حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}(١٨) .وقوله في اهل الجنة من نفس السورة :{ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا..}(١٩). فما هو سبب ذكرها في الاية الاولى وحذفها في باقي الايات .والجواب على ذلك ان الايه الاولى تستدعي الاطالة والاطناب لتفصيل حال اهل النار بعكس الايات الاخريات .

جاء في ملاك التأويل :(أن "أذا" تزاد بعدها "ما" كثيراً فصيحاً وقد لاتزاد ،وكلا المرتكبين فصيح .اذا تقرر هذا فمن المعلوم ايضاً أن العرب مع أنهم يؤثرون ايجاز الكلام في الاكثر .قد يختارون الطول واطناب الكلام في بعض المواضع ،وذلك بحسب ماتدعوا اليه الحال ....

واذا تأملت آية السجدة وجدتها مبنية على مايستدعي الاطالة وينافي الايجاز لقصد استيفاء ماتضمنت من حال اهل النار في امتحانهم ،الا ترى تخصيصها بما ذكر فيها من شهادة الاسماع والابصار والجلود ،وعتبهم جلودهم في الشهادة عليهم بقولها :{لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا}(٢٠) . ومجاوبة الجلود بقولهم : {أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ} (٢١) . الى اخر ما كلمتم به ،الا ترى ان الواو هنا من قصصهم قد نيف على عشر آيات ،وان اية الزخرف وهي اطول البواقي ورد مضمونها في اربع ايات ،واما اية الزمر فلم تبلغ واحدة منها ثلاث ايات ، فزيدت -ما- في اية السجدة مناسبة لما انجر في ذلك المقصود بها من الاطناب والاستيفاء ،ولم تزد في البواقي لما بنيت عليه من الايجاز ،فجاء كل منهما على ما يلائم ويناسب ،ولم يكن ليناسب عكس الوارد على ما تمهد) (٢٢).

ومن ذلك قوله تعالى: {لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً}(٢٣) وقوله { وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً}(٢٤) (فقال في آية الأحزاب (تبدّل) بحذف إحدى التائين ، وقال في آية النساء (ولا تتبدلوا) من دون حذف ، ذلك أن آية الأحزاب حكمها مقصور على الرسول ﷺ فهو منهي عن أن يتبدل بأزواجه أزواجا أما الآية الثانية فهي حكم عام للمسلمين على مر العصور ، فقال في الحكم المحدد والحدث المقصور على شخص واحد . (تبدّل) بالحذف من الفعل ، وقال في الحكم العام الممتد على مر

العصور (تتبدلوا) ، فجاء بالصيغة القصيرة للحدث القصير وبالصيغة الطويلة للحدث الطويل الممتد)(٢٥).

المبحث الثالث

حذف الاسم

ومن صوره حذف المبتدأ والخبر ، كقوله : ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾(٢٦) ، أي هذه سورة ، فيكون المبتدأ مقدرا دل عليه ابتداء السورة، واسم الإشارة المقدر يشير إلى حاضر في السمع وهو الكلام المتتالي، فكل ما ينزل من هذه السورة وألحق بها من الآيات فهو من المشار إليه باسم الإشارة المقدر(٢٧).

ويجوز أن تكون (سورة) مبتدأ ويكون قوله :(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي) إلى آخر السورة خبرا عن (سورة) ويكون الابتداء بكلمة (سورة) ثم أجري عليه من الصفات تشويقا إلى ما يأتي بعده مثل قول النبي ﷺ(كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمان سبحان الله العظيم سبحان اللّٰه وبحمده) (٢٨).

ان وصف النار في سورة القارعة لم يكن ليتم بهذه الصورة الجميلة الا بحذف المبتدأ ،حيث قال تعالى : {وما أدراك ماهي ، نار حامية } (٢٩) ، تأمل الفرق بين هذا الاسلوب الموجز وبين ان يقال : {وما أدراك ماهية ، هي نار حامية}من الاسراع الى ذكر النار ، بعد ان اثار الشوق بالسؤال عنها ، وعلى ذلك قوله تعالى :{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ}(٣٠)، اي والحطمة نار الله .فالمبتدأ يحذف لأن ذكره يبعث في النفس السأم ،لشدة وضوحه ،لقريب الحديث عنه(٣١) .

ومثله قوله تعالى :{ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ}(٣٢). فـ "ثلة" :(خبر عن مبتدأ محذوف تقديره :هم ثلة) (٣٣) .

واذا انتقلنا الى مشهد آخر وهو الذي يتمثل بما أعدهُ الله لعباده من نعيم ،فاننا نجده يصف الجنة بقوله :{أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا...} (٣٤)، ففي هذه الاية حذف الخبر ، ويكون التقدير :"وظلها دائم " لاينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (٣٥). فحذف لان الكلام دل عليه ، فكان حذفه ابلغ من ذكره ،والبلاغة بحذفه إذ انه لا فائدة بذكره وتكراره .

ومثله قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً..} (٣٦).فارتفع "مكر"على الابتداء .والخبر محذوف دل عليه مقابلة هذا الكلام بكلام المستكبرين إذ هو جواب عنه .فالتقدير :بل مكركم صدنا ،فيفيد القصر ،اي ماصدنا الا مكركم ،وهو نقض قام لقولهم {نَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى}(٣٧) . وقولهم {بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ} (٣٨).

ومن (حذف الخبر) قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا ﴾(٣٩) قال سيبويه الخبر محذوف أي فيما أتلوه السارق والسارقة وجاء فاقطعوا جملة أخرى وكذا قوله : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾(٤٠) فيما نقص لكم ، وقال غيره (السارق) مبتدأ (فاقطعوا) خبره وجاز ذلك لأن الاسم عام فإنه لا يريد به سارقا مخصوصا فصار كأسماء الشرط تدخل الفاء في خبرها لعمومها وإنما قدر سيبويه ذلك لجعل الخبر أمرا وإذا ثبت الإضمار فالفاء داخلة في موضعها تربط بين الجملتين ومما يدل على أنه على الإضمار إجماع القراء على الرفع مع أن الأمر الاختياري فيه النصب ، قال وقد قرأ ناس بالنصب(٤١) ارتكانا للوجه القوي في العربية ولكن أبت العامة إلا الرفع(٤٢).

ومن حذف الخبر أيضا قوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ.. ﴾(٤٣) أي حل لكم كذلك(٤٤).

وقد يحتمل الأمرين ومثاله قوله ﴿ سورة أنزلناها ﴾ إما أن يقدر فيما أوحينا إليك سورة أو هذه سورة(٤٥).

ومن حذف الاسم حذف المفاعيل ومن ذلك قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} (٤٦) ، انهم يعلنون

يقينهم بالاخرة ، ويقينهم بالحق الذي جاءتهم به الدعوة .ويقولون الكلمة التي لو قالوها في الدنيا لفتحت لهم ابواب الجنة ،ولكنها في موقفهم ذاك لاتجدي شيئاً ولا تفيد(٤٧)، وفي الاية يظهر لنا شكل جديد للحذف الا وهو حذف المفعول، فقد حذف مفعول "ابصرنا"ومفعول "سمعنا" لدلالة المقام ،اي ابصرنا من الدلائل المبصرة مايصدق ما اخبرنا به (فقد رأوا البعث من القبور ورأوا ما يعامل به المكذبون) وسمعنا من اقوال الملائكة ما فيه تصديق الوعيد الذي توعدنا به ،اي فعلمنا ان مادعانا اليه الرسول هو الحق الذي به النجاة من العذاب فأرجعنا الى الدنيا نعمل صالحاً كما قالوا في موطن آخر :{ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ}(٤٨) وعن بلاغة الحذف في هذه الاية نقول ،انه بحذفه مفعول {ابصرنا ،وسمعنا}يذهب بالنفس لتقدير امور واشياء كثيرة يبصرها الانسان يوم القيامة ويسمعها ،ولو ذكر المحذوف وقال (ابصرنا كذا ،وسمعنا كذا) لخص امراً دون آخر ،فكان من البلاغة ان يحذف المفعول لكلا الفعلين .

وقد يحذف مفعولان منه كما في قوله تعالى :{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}(٤٩).اي : تزعمونهم إياهم(٥٠) .وقال ابن خروف :(هو من باب الحذف لدليل ،لأن المعنى دال على المفعولين ،اي :فهو يعلم ما يفعله حقاً وصوابا ،ولا فائدة في الاية مع الاقتصار ،لانه لايعلم منه المراد(٥١) .

وفي قوله تعالى ﴿ وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾(٥٢) وقوله ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾(٥٣) للسائل ان يسأل عن ذكر قوله (مقتا) في الاية الاولى وحذفه من الآية الثانية ؟ والجواب عن ذلك : إن المقت هو النقص والإستحقار ، ومتزوج امرأة أبيه فاعل رذيلة يمقت فاعلها وتستخسه الطباع السليمة ، فوسمت فعلته بالمقت ، وساوت الزنا فيما وراء ذلك . فلهذا زيد في الآية الأولى(٥٤) .

وفي قوله تعالى ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥) نجد لونا آخر للحذف وهو حذف المفعول وهو قوله (تعتدوا) ، (ليشمل الاعتداء عليهن وعلى أحكام الله تعالى ، فتكون اللام مستعملة في التعليل والعاقبة)(٥٦).

ومنه حذف الحال ، قال تعالى :{وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} (٥٧) ،نجد في الاية هذا الاستقبال الجميل من قبل الملائكة ،والترحيب بضيوف الرحمن واعداد الوسائل اللازمة لراحة الضيوف ،واستخدام الكلمات الجميلة المعبرة في الترحيب فكان ان عبر القران عن ذلك بحذفه للحال ،وتقدير الاية :قائلين سلام عليكم ،لان دخول الملائكة على المؤمنين يشعر بانهم سيخاطبونهم ،ويقولون لهم ،فلا حاجة اذن لذكر الفعل الذي يدل على الحال من الملائكة ،تتميماً للنسق الفني في الصياغة المعجزة (٥٨).

قال ابن الربيع :(اعلم ان العرب قد تحذف الحال اذا كانت بالفعل ،لدلالة مصدر الفعل عليه ، فتقول : قتلته صبراً ، واتيته ركضاً(٥٩).

وقد يحذف المضاف ويقوم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى :{وجاء ربك والملك صفاً صفاً}(٦٠). اي (امر ربك) (٦١) وبالرجوع الى كتب التفسير نجد ان الطبري وابن كثير لم يؤولا (المجيء) وامضياه على ظاهره(٦٢).

اما الزمخشري فقال :(فان قلت ما معنى اسناد المجيء الى الله والحركة والانتقال انما يجوزان على من كان في جهة ،قلت :هو تمثيل لظهور ايات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه .مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ،ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة مالايظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم) (٦٣).

اما الرازي ،وهو المعروف بمنهجه التفصيلي واحاطته للنص القراني ،فقد قال :واعلم انه ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله تعالى محال ،لأن كل ماكان كذلك كان جسماً .والجسم يستحيل ان يكون أزلياً ، فلابد فيه من التأويل . وهو ان هذا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه .ثم ذلك المضاف ماهو ؟فيه وجوه:-

احدها :وجاء امر ربك بالمحاسبة والمجازاة .

وثانيها :وجاء قهر ربك كما يقال جاءتنا بنو امية اي قهرهم .

وثالثها : وجاء جلائل ايات ربك ،لان هذا يكون يوم القيامة ،وفي ذلك اليوم تظهر العظائم وجلائل الايات ،فجعل مجيئها مجيئاًً له ، وتفخيماًً لشأن تلك الايات .

ورابعها : وجاء ظهور ربك ،وذلك لأن معرفة الله ضرورية فصار ذلك كظهوره وتجليه ،فقيل : (وجاء ربك) اي زالت الشبهة وارتفعت الشكوك .

وخامسها :ذكر نص قول الزمخشري السابق .

وسادسها: ان الرب هو المربي ولعل اعظم الملائكة هو مربي للنبي ، فكان هو المراد من قوله (وجاء ربك) (٦٤).

وقال القرطبي :(وجاء ربك) اي امره وقضاؤه (٦٥) ، وهذا ماذهب اليه الشوكاني وكثير من المفسرين(٦٦)

المبحث الرابع

حذف الفعل

ومن صور ذلك حذف فعل القول في قوله تعالى :{وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً} (٦٧) ، اي فقيل لهم : لقد جئتمونا(٦٨) ، وقوله تعالى : {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا..} (٦٩). اي فيقال لهم : أذهبتم طيباتكم فهذا الحذف يصور ماحدث ،ولما كان ماحدث هو انهم عرضوا على الله صفاًً ،ثم سمعوا هذا التأنيب ،فكان القول مضمراًً في الواقع فاضمر في الجملة المعبرة عنه (٧٠).

ومن صوره الرائعة قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} (٧١) ، على تقدير :(فيقال لهم : اكفرتم) و "اما" لابد لها في الخبر من فاء ،فلما أضمر القول أضمر الفاء ، وانما حسن الحذف لدلالة الكلام عليه(٧٢).

ومنه قوله تعالى :{لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} (٧٣) ، فهو مقول قول محذوف دل عليه تعينه من الخطاب (اي يقال هذا الكلام لكل نفس من نفوس المشركين فهو خطاب التهكم التوبيخي للنفس الكافرة لأن المؤمن لم يكن في غفلة عن الحشر والجزاء) (٧٤).

ففي هذه الايات نجد الوجه البلاغي لحذف فعل القول ، ذلك انه لو استعمل هذا الفعل كقوله "قلنا ،وقالوا ،وقيل لهم "لما شد ذلك القارئ لهذه المشاهد ،فهو بحذفه لها ،يجعل القارئ والسامع وكأنه جزء من الصورة ،فهو لايحتاج لئن يقال "قالوا ،وقيل "لانها مشاهد معروضة امامه .فهذا الحذف يزيد الصورة بلاغة وبياناًً.

والى نصين آخرين نلمس فيهما دقة للحذف والذكر وذلك في قوله تعالى : ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾(٧٥) وقوله : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾(٧٦) ، فذكر في الآية الاولى (واكسوهم) وحذفها في الثانية ! والجواب عن سر ذلك الذكر والحذف أن قوله تعالى ﴿ ولا تؤتوا السفهاء اموالكم ﴾ إنما المراد به السفيه المتصير إليه المال بإرث ولا يحسن القيام عليه فيحجر عليه ماله إبقاء عليه ولا يمكّن منه إلاّ بقدر ما يأكله ويلبسه ، فالنهي إنما هو للأوصياء ، ونسبة المال إليهم مجاز بما لهم فيه من التصرف والنظر ، أما الآية الأخرى فليست في شأن أحوال السفهاء وحكمها ، وإنما المراد بها المقتسمون لميراث يخصهم لا حق فيه لغيرهم فيحضرهم قريب فقير ويتيم محتاج ومسكين فندبوا الى التصدق عليهم والإحسان . لا لحق هؤلاء في المال فمن أين تلزم كسوتهم والتنصيص عليها ؟ إنما ندبوا إلى الإحسان إليهم بالعفو مما يخف عليهم وسع ذلك كسوتهم أو لم يسع . فافترق مقصد الآيتين ، وجاء كل على ما يناسب(٧٧).

ومنه أيضا قوله تعالى﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ .. ﴾ أي فأفطر فعدة من أيام أخر ، فحذف للشرط والمضاف ثقة بالظهور، خلافا للظاهرية

حيث أوجبوا الفطر على المسافر أخذا من الظاهر.وكذلك قوله : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾ أي فحلق ففدية.

الخاتمة

مما تقدم يتبين لنا :-

* أنه ما من شيء ذكر في القرآن إلاّ وذكره أبلغ من حذفه ، وما من شيء حذف إلاّ وحذفه أبلغ من ذكره . وعلينا أن نبحث عن المعاني التي أداها كل لون .

* ان الحذف من اساليب العربية التي تعتمد البلاغة عليها ،فلكل كلام ظروفه الخاصة به ،فقد يكون من بلاغة القول ان تذكر الكلمة ،وقد يكون من البلاغة ان تحذف ،فلكل مقام مقال.

*ان الاصل في الكلام ان يذكر اما الحذف فهو خلاف الاصل ومن هذا فلابد من سبب للحذف .وهذا السبب يعرف بدراسة السياق .

* لابد من قرينة عند الحذف والاّ اصبح الكلام لغواً لافائدة منه .

*انه ينبغي التوقف عند اسلوب الحذف لما في ه من بلاغة عظيمة ودلالة كبيرة لا تدرك الا بالتأمل والتدبر.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

Abstract

Praising is to Allah , Peace be upon his prophet , his family and followers .

The Quranic study is considered most important study because of the modern needs and intellectual necessities , Thus I aim to write about one of the miracles of Quran , this is " The Rhetoric of Omission in Quran " , The study is divided into four chapters , The first one is about the rhetoric of omission , I talk in the second chapter on the omission of a letter , The third chapter deals with the omission of noun . while the fourth chapter covers the omission of verb , Finally we have the conchs ion , That what I **present , If it is true , it is favour of Allah , If it is false , that is from me .**

الهوامش :

١. سنن الترمذي ـ كتاب فضائل القرآن رقم ٢٨٣١.
٢. ينظر : دلائل الإعجاز/٩٥ـ٩٦.
٣. ينظر : البرهان للزركشي٣/١١٩ـ١٢٠ .
٤. ينظر : البرهان /٢٣٩ .
٥. ينظر : فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم/١٨٨.
٦. سورة الزمر /٧١
٧. سورة الزمر/٧٣
٨. سورة الهمزة /٨
٩. سورة ص/٥٠
١٠. ينظر : درة التنزيل /٤٠٩ـ ٤١٠ ، والبرهان للزركشي ٣/٢٢٣ـ٢٢٤ ، والكشاف ٣/٤١ ، والتفسير الكبير ٢٧/٢٣ ، ومعاني النحو ٤/٥٠٢ـ ٥٠٣
١١. ينظر : البرهان للزركشي ٣/٢٢٣ـ٢٢٤
١٢. سورة ص/٥٠

١٣.٣/٢٢٣-٢٢٤
١٤.ينظر : مسائل الرازي /٣٠٣
١٥.ينظر : المثل السائر ٢/٨١
١٦.سورة فصلت/٢٠
١٧.سورة الزخرف /٣٨
١٨.سورة الزمر/٧١
١٩.سورة الزمر /٧٣
٢٠.سورة فصلت/٢١
٢١.سورة فصلت/٢١
٢٢.٢/١٠٠٤-١٠٠٦
٢٣.سورة الأحزاب/٥٢.
٢٤.سورة النساء/٢.
٢٥.بلاغة الكلمة في التعبير القرآني /١٢ .
٢٦.سورة النور/١.
٢٧.ينظر : البرهان للزركشي٣/١٥٢ ، وتفسير التحرير والتنوير ٢١/١٣١.
٢٨.ينظر : تفسير التحرير والتنوير ٢١/١٣١، والحديث رواه البخاري في كتاب الدعوات برقم ٥٩٢٧.
٢٩.سورة القارعة /١٠-١١
٣٠.سورة الهمزة /٥-٦
٣١.ينظر : التبيان -لابي البقاء العكبري ٢/٢٩٣،ومن بلاغة القران /١٢١/١٢٢،وفكرة النظم بين وجوه الاعجاز /١٩٠-١٩١
٣٢.سورة الواقعة /١٣
٣٣.تفسير التحرير والتنوير ٢٧/٢٨٩
٣٤.سورة سبأ /٣٢
٣٥.ينظر : تفسير التحرير والتنوير ٢٢/٢٠٨،والاية من سورة سبأ /٣٢.
٣٦.سورة المائدة/٣٨.
٣٧.سورة النور/٢.
٣٨.وهي قراءة عيسى بن عمر وابن أبي عبلة بالنصب على الاشتغال ،ينظر:تفسير البحر المحيط٤/٢٢٤ .
٣٩.ينظر : البرهان للزركشي٣/١٥٦-١٥٧.
٤٠.سورة المائدة/٤.
٤١.ينظر : البرهان للزركشي ٣/١٥٨.
٤٢.ينظر : البرهان للزركشي ٣/١٦٠.
٤٣.سورة السجدة /١٢
٤٤.ينظر : في ظلال القران ٥/٢٨٠٣
٤٥.ينظر : تفسير التحرير والتنوير ٢١/٢٢١-٢٢٢ والاية من سورة ابراهيم /٤٤
٤٦. سورة الاعراف /٤٤
٤٧.ينظر : التعبير القراني /٨٥
٤٨.ينظر : البرهان للزركشي ٣/٢٠٢
٤٩.سورة النساء /٢٢ .
٥٠.سورة الإسراء /٣٢ .
٥١.ينظر : ملاك التأويل ١/٣٤٠-٣٤١ .
٥٢.سورة البقرة/١٩٠.

٥٣. تفسير التحرير والتنوير ٢/٤٢٣.
٥٤. سورة الرعد/ ٢٣، ٢٤
٥٥. ينظر : التفسير الكبير ١٩/٤٧، والبرهان للزركشي ٣/٢١٠، وفكرة النظم بين وجوه اعجاز القران الكريم ١٩٥، والتركيب اللغوية في العربية د. هادي النهر /١٦٨
٥٦. البرهان للزركشي ٣/٢١٠
٥٧. سورة الفجر/ ٢٢
٥٨. البرهان للزركشي ٣/١٦٧
٥٩. ينظر : جامع البيان للطبري ٣٠/١١٧، وتفسير القران العظيم ٤/٥١٠
٦٠. الكشاف ٤/٦٠٠
٦١. ينظر : التفسير الكبير ٣١/١٧٥
٦٢. ينظر : الجامع لاحكام القران ٢٠/٥٥
٦٣. ينظر : فتح القدير ٥/٤٤١، وتفسير ايات الصفات . د. محسن عبد الحميد /١١٣-١١٤.
٦٤. سورة الكهف /٤٨
٦٥. ينظر : من بلاغة القران /١٢١-١٢٢
٦٦. سورة الاحقاف /٢٠
٦٧. ينظر : التحرير والتنوير ٢٦/٤٢، ومن بلاغة القران /١٢١-١٢٢.
٦٨. سورة ال عمران ١٠٦
٦٩. ينظر : معاني القران للاخفش ١/٢١١، والتفسير الكبير ٨/١٨٨ والبرهان للزركشي ٣/٢٣٣-٢٣٤
٧٠. ينظر : الكشاف ٢/٤٩، والتفسير الكبير ١٣/٢٠٠-٢٠١، والتحرير والتنوير ٨/٦٧.
٧١. ينظر : التفسير الكبير ١٣/٢٠٠-٢٠١، والاية من سورة البقرة /١٧٤
٧٢. سورة النساء /٥ .
٧٣. سورة النساء /٨
٧٤. ينظر : ملاك التأويل ١/٣٣٤-٣٣٥ .
٧٥. سورة البقرة/ ١٨٤ .
٧٦. سورة البقرة/ ١٩٦
٧٧. ينظر : أحكام القرآن لأبن العربي ١/٧٧ ، والتفسير الكبير ٥/١٦٣ ، والبرهان للزركشي ٣/٢٤٣، وتفسير أبي السعود ١/١٥٣.

المصادر

القران الكريم
١. أحكام القرآن ـ محمد عبد الله المعروف بأبن العربي ـ ت: علي محمد البجاوي ـ ط٢ ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي.
٢. البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تقديم مصطفى عبد القادر عطا ـ ط١ ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .
٣. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ـ د. فاضل صالح السامرائي ط ١ ٢٠٠٠م ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد .
٤. تفسير أبي السعود ((ارشاد العقل السليم الى مزايا القران الكريم)) لابي السعود محمد بن احمد العمادي (ت٩٥١ه) طبعة منقحة باشراف محمد عبد اللطيف ـ مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولادة ـ ميدان الازهرية . د.ت.
٥. تفسير البحر المحيط ـ لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي (ت٧٥٤هـ) ـ ط١ مطبعة السعادة ـ مصر ١٣٢٨هـ.

٦. تفسير التحرير والتنوير–محمد الطاهربن عاشور–الدار التونسية للنشر .د.ت.

٧. التفسير الكبير ومفاتح الغيب ـ محمد فخر الدين الرازي ـط١ ١٤٠١هـ ١٩٨١م ـ دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان .

٨. جامع البيان عن تأويل آي القران - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) – دار الفكر – بيروت لبنان – ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

٩. الجامع لاحكام القران - لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي - ت-احمد عبد العليم البردوني - ط٣ مصورة عن الطبعة الثانية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٨٤هـ – ١٦٩٥م.

١٠. دلائل الإعجاز في علم المعاني ـ عبد القاهر الجرجاني ـ تصحيح محمد عبده ومحمد الشنقيطي ـ طبع باشراف السيد محمد رشيد رضا ـ مكتبة القاهرة ـ مصر ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

١١. روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ـ محمد علي الصابوني ـ مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

١٢. روح المعاني في تفسير الفران العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) - طبعة جديدة مصححة ومنقحة -دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م.

١٣. زاد المسير في علم التفسير – لابن الجوزي –ط١ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر . ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

١٤. سنن أبي داود ـ سليمان ابن الأشعث السجستاني ـ تعليق : محمد محي الدين عبد الحميد ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

١٥. سنن الترمذي (المسمى بالجامع الصحيح) ـ ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ـ ت : احمد محمد شاكر ـ القاهرة ١٩٣٧م.

١٦. صحيح البخاري - ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري (ت٢٦٥هـ) –ط١ دار القلم بيروت – لبنان – ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٧. صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني –ط١- عالم الكتب بيروت – ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٨.فكرة النظم بين وجوه الاعجاز في القران الكريم – د. فتحي احمد عامر القاهرة – ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م .

١٩ في ظلال القران – سيد قطب – ط٧ – دار الشروق –بيروت –لبنان – ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
العمة للتأليف والنشر ١٠٧١م.

٢٠.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل - ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨) - دار الفكر للطباعة والنشر د.ت.

٢١.مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ـ ابن هشام الانصاري ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٢٢ ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ـ أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ـ ت سعيد الفلاح ـ ط١ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ لبنان .